مدخل لدراسة الاستراتيجيات

تأليف: أ.د. عامر خضير الكبيسي

الناشر: المنظمة العربية للتنمية الإدارية
جامعة الدول العربية (الطبعة الثانية، القاهرة، 2018)

الكتاب الذي بين يدي القارئ «مدخل لدراسة الاستراتيجيات» هو حصيلة جهد وبحث دام لسنوات كرستها لإنجازه ولتقديمه للمعنيين والمهتمين بالاستراتيجيات التي يكثر الحديث عنها اليوم، بالرغم من أنها ظلت شبحًا قلما درَّسته الجامعات أو طبقته الحكومات أو تلمست نتائجه المجتمعات حتى قيل عن ضجيجها «جعجعة بلا طحين».

ولكيلا يُفرغ هذا المصطلح من مضمونه قبل أن يرى النور في مجتمعاتنا ومؤسساتها، آثرت أن أكشف عن نشأته التاريخية منذ كان سلاحًا يستقوي به الجنرالات لكسب النصر في معاركهم، مرورًا بمدراء الشركات ممن وظفوه للتفوق على منافسيهم وتحقيق الأرباح لمساهميهم. فأبرزت صفحات من سيرة أولئك وهؤلاء وعَرّفت بما فعلوه على أرض الواقع من تطبيقات وما دونوه في صفحات التاريخ من رؤى وعظات. وهذا ما تضمنه الفصلان الأول والثاني من الكتاب.

ولأن هدفنا ومقصدنا الأساسي إفادة قياداتنا العسكرية والأمنية والمدنية الذين يتبوأون اليوم مواقعهم في مختلف المؤسسات والقطاعات، ثم إفادة طلابنا الذين نحسبهم بمثابة مشروعات قيادية واعدة نُكرس اليوم الجهود لصناعتهم وإعدادهم ليكونوا قادة المستقبل في قطاعاتهم ومناطقهم، فقد تناولت في الفصل الثالث إمكانات ومجالات تطبيق الاستراتيجيات على مستوى الحكومات والإدارات العامة بعد أن تأخرت كثيرًا عن حليفتها ومنافستها منظمات إدارة الأعمال. فأوضحنا أسباب ذلك، والمبررات التي تدعوها لأن تخوض غمارها في ظل المستجدات والتحديات الداخلية والخارجية التي رافقت العولمة ونظامها الدولي الجديد.

كما خصصنا الفصل الرابع من الكتاب لاستراتيجيات الأيدي الخفية التي استطاعت أن تخترق الهيئات والمنظمات والتكتلات الدولية، فعرفنا بأهمها وأكثرها فاعلية على الساحة الدولية بعد أن أصبحت قراراتها واتفاقياتها بمثابة الاستراتيجيات المرجعية لكل ما يصدر عن الحكومات القطرية والوطنية من قرارات أو تشريعات أو سياسات استراتيجية فرعية وتنفيذية.

أما الفصل الخامس فتناول استراتيجيات العمل العربي المشترك، وركزنا فيه على جامعة الدول العربية باعتبارها هيئة إقليمية أنشئت لهذا الغرض وهي في الوقت نفسه حلقة الوصل مع هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها الدولية المتخصصة ومع التكتلات والاتحادات الأوروبية والإفريقية والآسيوية والمتوسطية وأمريكا اللاتينية.

وخلافًا لمن يحاولون الترويج للعولمة لكونها جعلت من العالم قرية كونية، نقول إنه عالم «الغابة الكونية» التي لم يعد بإمكان الصغار أن يتعايشوا فيه مع من يسمون أنفسهم بالثمانية الكبار (G8). ولذلك حرصنا على إبراز الجهود التي بذلتها الجامعة العربية ومنظماتها ومجالس وزرائها واتحاداتها وشركاتها في مجال التنمية الشاملة والمستدامة. وبالرغم من الفجوة التي لا تزال تفصل بين الواقع والطموح وبين ما تضمنته الاستراتيجيات وما حققته التطبيقات، فإننا ندعو إلى مواصلة المسيرة ولكن بقيادات أكثر إيمانًا وأشد إخلاصًا ونزاهة وأفضل تأهيلاً، وباستراتيجيات أكثر واقعية وأحسن كفاءة وفاعلية. أما العثرات والهفوات وحتى الفشل فلا يبرر التراجع والنكوص بعد كل ما تحقق على مستوى التنظير والتأسيس والتطبيق.

أخيرًا، نقول: إن ما قدمناه عبر صفحات هذا الكتاب من سيرة وإنجازات لبعض القيادات الاستراتيجية التاريخية والمعاصرة، وما وثقناه من أقوالهم وخطبهم ورؤاهم – أردناه أن يكون زادًا وثراءً للعقول وتجديدًا وتغييرًا للنفوس وتحصينًا وتمكينًا للسلوك، لعل الله يخرج هذه الأمة من هذه الغمة ويهيئ لها من أمرها رشدًا. ومن هم غير القيادات الذين يمكن أن يُعول عليهم لتحقيق هذا الهدف النبيل؟

أما مؤلف هذا الكتاب فلن يبتغي من عمله هذا مالاً ولا جاهًا ولا شهرة، وهو اليوم على أبواب العقد السابع من عمره الذي قضاه معلمًا وأستاذًا وباحثًا ولم يترك طيلة مسيرته الوظيفية التأليف ولا التدريس، بالرغم مما توافر له من الفرص التي ضحى بها من أجل هذه المهنة التي يعي رسالتها ويدرك مسئوليتها.

وكل ما يتمناه هو أن يرى أمته العربية والإسلامية في أحسن أحوالها، ويرى بلده العراق قد تحرر من الغزاة وعاد أبناؤه وعلماؤه لبنائه من جديد، ويرى أويسمع بأن طلبته أينما كانوا قد أينعت ثمارهم وحسن عطاؤهم وصاروا مصابيح هدايةٍ وعطاءٍ لأوطانهم ولمجتمعاتهم.

وختامًا أوجه الشكر لكل من أسهم في إنجاز هذا الكتاب وفي مقدمتهم زوجتي أم عبيدة وولدي ياسر، فقد أعانني بتوفير الأجواء الهادئة والتفرغ لإكماله، والشكر – أيضًا – للأستاذ عبد ربه شمت الذي أعانني في نسخ مسودته وإخراجه، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عامر خضير الكبيسي